

قيادي عسكري ليبي ينذر اغتياله بمرحلة جديدة غامضة

محمود الورفلي

قاهر المتطرفين من خارج القانون



الحبيب الاسود
كاتب تونسي

تكرست صورة القيادي العسكري الليبي محمود الورفلي الذي اغتيل قبل أيام كعدو عقائدي للإسلام السياسي وفصلته من خلال إقدامه على تنفيذ عمليات إعدام ميدانية ضد إرهابيين، وبذلك الملامح تحول إلى واحد من أبرز الشخصيات الليبية إثارة للجدل. وبينما يطلق عليه مناصروه اسم "قاهر الإرهابيين والخوارج" ويسرون فيه رمزا للانتقام من إرهابيي القاعدة وداغش ممن عاثوا فسادا في البلاد، يعتبره الطرف المقابل قاتلا لا يابه بالقوانين المحلية والمواثيق والعهد الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان ومعاملة أسرى الحروب.



حياة الورفلي ومقتله قصة دراماتيكية لعسكري واجه التطرف بالتطرف، فأصبح من أبرز المطلوبين للقضاء الدولي، واغتيل في لحظة فارقة

والجميع يسأل اليوم: من وراء اغتيال الورفلي؟ هل هم مقربون منه للتخلص من سجله المثير للجدل؟ أم إرهابيون لا يزالون يجدون الفرصة لتنفيذ مخططاتهم في بنغازي؟ أم جهات استخباراتية قضت عليه في لحظة فارقة لأنها ترى في نهايته دعما للمسار السياسي في البلاد؟

صدام مع المتطرفين

ولد الورفلي في التاسع من فبراير 1978 في إجداميا، إحدى المدن الرئيسية في المنطقة الشرقية لوسط أسرة العيكي التي تنحدر من قبيلة ورفلة. وهذه القبيلة تعتبر إحدى أكبر قبيلتين في ليبيا إلى جانب ترهونة، ولها انتشار واسع في الأقاليم التاريخية الثلاثة.

بعد دراسته الابتدائية وحصوله على شهادة الثانوية العامة التحق الورفلي بالكلية العسكرية بمدينة سرت، ومنها تخرج ضمن دفعة 41 بمؤهل في العلوم العسكرية متخصصا في الشؤون الإدارية بدرجة ضابط عمليات، وشارك في عدة دورات تخصصية منها دورة الصاعقة ودورة أمر سرية ديابات وغيرها.

انخرط في العمل بكتيبة القوات الخاصة "الصاعقة" التي تأسست العام 1970، والتي أعلن قائدها عبدالفتاح يونس الذي كان يشغل منصب وزير الداخلية آنذاك في فبراير 2011 الخروج عن نظام العقيد معمر القذافي بصفته رئيس أركان "جيش التحرير الوطني".

وكان ذلك الإعلان تعبيراً عن "عسكرة" الاحتجاجات التي اندلعت شرارتها الأولى من بنغازي. ثم ما لبث يونس أن اغتيل على يد متشددين كانوا يقاتلون ضمن ميليشيات المجلس الانتقالي الذي اتهم رئيسه مصطفى عبدالجيليل بإصدار أوامر بذلك. بعد الإطاحة بالنظام السابق اعتمادا على التدخل العسكري الخارجي سيطر المتطرفون المرتبطون بتنظيم القاعدة والمعروفون بـ"انصار الشريعة" على شرق البلاد، وأعلنوا عن قيام إمارتهم في درنة، ودخلوا مرحلة التصفية الجسدية لضباط الجيش والأمن السابقين وللنشطاء الحقوقيين والسياسيين والإعلاميين ورجال الدين المعتدلين. وكانت ذروة تلك التحديات مهاجمتهم لمقر الفصيلة الأميركية بمدينة بنغازي ما أدى إلى مقتل السفير كريستوفر ستيفنز وإداري المعلومات الخارجية شون سميث وموظف الأمن الخاص غلين دوهرتي وعشرة من رجال الشرطة الليبية.

كانت بنغازي في تلك المرحلة قد تحولت إلى مخبر دولي لتوطين الإرهاب كنتيجة لمساعي تمكين الإسلام السياسي على الحكم من خلال جناحيه المتشدد "الجهادي" كفاعل ميداني، والإخواني كفاعل سياسي، بدعم مباشر من قوى إقليمية ودولية، وكان هناك اعتقاد بأن شرق ليبيا أصبح خاضعا بالكامل للجماعات الإرهابية تحت غطاء سياسي من سلطات المؤتمر الوطني العام بطرابلس.

لكن رجال الصاعقة وقفوا بقوة في مواجهة المد الإرهابي، وكان المقاتل الأبرز الذي برز في الصورة هو سالم النابلي المعروف باسم غفاريث الذي تعرض والده للاختطاف على يد مسلحي انصار الشريعة قبل أن يعثر عامل سوداني على رأسه مقطوعة وموضوعة داخل كيس بلاستيكي مرمي على قارعة الطريق قرب محطة غسيل سيارات بمفترق الوحيشي في بنغازي.

كانت تلك الحادثة كافية لتأجيج الحرب بين قوات الصاعقة والجماعات الإرهابية، وبرز غفاريث كإحدى رموز المواجهة التي أنتم اغتياله هو الآخر، كما كان اسم ونيس بوخمادة المعروف بلقب "الفهد الأسود" قد طبق الأفاق كقائد للقوات الخاصة حين قاد أعنف المواجهات، ومنها تلك التي وقعت ضد الميليشيات المسلحة وأبرزها ميليشيا انصار الشريعة وميليشيا 17 فبراير التي تم اتهامها بالوقوف وراء عمليات إرهابية واغتيالات في بنغازي، آنذاك قامت القوات الخاصة بالعديد من المدهامات واشتركت في عدة معارك في بنغازي، بالمقابل تعرض المعسكر الرئيسي للقوات الخاصة في بنغازي للعديد من التفجيرات الانتحارية.

كانت تلك الاشتباكات منطلقا لعملية الكرامة التي قادها المشير خليفة حفتر.

وكانت قوات الصاعقة بقيادة بوخمادة النواة الأولى التي تشكل منها الجيش الوطني في معركة إعادة بنائه بقيادة حفتر، وكان الورفلي أحد أبرز رموز تلك المرحلة.

المقاتل الشرس

لمع الورفلي كمقاتل شرس ضد الجماعات الإرهابية وقاد عددا من المعارك الكبرى، منها أول اشتباك مع انصار الشريعة بجزيرة الفصيل، وشارك بدور مهم في تحرير مستشفى الجلاء التعليمي بمنطقة السلماني، وكان دوره مهما في معركة منطقة رأس عبيدة. كما تزعم معركة الدفاع عن مديرية الأمن، وتصدى لهجوم الإرهابيين على مقر كتبية شهداء الزاوية، واشترك مع زميله الراحل بوكر الفسي في قيادة عملية اقتحام مقر درع ليبيا، وفي تحرير مقر الكتبية 219 ومقر إدارة الدفاع الجوي، وكان له دور حاسم في معارك "بنينا" وغيرها.

كان الورفلي من الضباط الأوائل الذين تقدموا إلى أتون المواجهة، واستلم منذ اليوم الأول ثلاثة محاور، حيث هاجم أوكار الإرهابيين في مناطق عدة، وكان له دور مهم في اقتحام منطقة الليثي، وفي معركة الهواري، ونجح في قيادة قواته إلى صد الهجوم على منطقة بوهديمة، وقاد معارك في القوارشة وبوضنيب إضافة إلى معركة تحرير الصابري. ونظرا لدوره الميداني نال الورفلي رتبة رائد، وعين أمرا لدوريات بالصاعقة كما أشرف على مقر احتجاز واحد على الأقل، ثم رقي إلى رتبة مقدم.

لا أحد يجادل بأن قوات "الصاعقة" دفعت ثمنا باهضا في حرب تحرير شرق ليبيا من الإرهاب، وقدمت مدن وقبائل بركة الآلاف من الضحايا والجرحى في مواجهات تواصلت لمدة ست سنوات قبل الإعلان رسميا عن تحرير بنغازي، ثم تحرير درنة، وعندها برز دور آخر للورفلي.

الورفلي العيب

أصدرت المحكمة الجنائية الدولية مذكرة اعتقال بحق الورفلي متهمته إياه بتنفيذ إعدامات ميدانية لمدنيين ومقاتلين مصابين بين عامي 2016 و2017، وأفاد بيان القضاة أنه انضم إلى القوة عقب سقوط القذافي، حيث تم اتهامها بالوقوف وراء عمليات إرهابية واغتيالات في بنغازي، آنذاك قامت القوات الخاصة بالعديد من المدهامات واشتركت في عدة معارك في بنغازي، بالمقابل تعرض المعسكر الرئيسي للقوات الخاصة في بنغازي للعديد من التفجيرات الانتحارية.

كانت تلك الاشتباكات منطلقا لعملية الكرامة التي قادها المشير خليفة حفتر.



اسم الورفلي تردد في مفاصل هامة خلال السنوات العشر

الماضية كراس حربية ضد الجماعات الإرهابية، فقد قاد

عددا من المعارك الكبرى، منها

أول اشتباك مع أنصار الجزيرة

بجزيرة الفصيل حين تزعم

معركة الدفاع عن مديرية الأمن،

وكان له دور حاسم في معارك

"بنينا" وغيرها

عاد للظهور في ساحات المواجهة أثناء هجوم الجيش على مناطق نفوذ ميليشيات الوفاق.

مطلت شخصية الورفلي حالة دراماتيكية في الجيش الليبي، فهو من جهة يحظى بشعبية جارفة لدى الكثير من أطراف المجتمع، ومن جهة ثانية ينظر إليه أعداؤه كسفاح وقاتل وسافك دماء، وهو مطلوب دوليا، ويعتبر عنوانا للتطرف القاهر للتطرف، حيث يعتقد المقربون منه أنه ينتمي إلى التيار المدخلي السلفي السنني المتشدد، والمعادي للإسلام السياسي، والذي ينتشر بقوة في ليبيا وله امتدادات داخل المؤسسة العسكرية في المنطقة الشرقية وفي المؤسسة الأمنية والميليشيات الفاعلة في غرب البلاد.

في الثالث من مارس العام الماضي نشر شريط فيديو للورفلي وهو يقود بعض المسلحين في هجوم على معرض سيارات "تويوتا" في بنغازي، حيث قام بالتكسير والتخريب متهما صاحب المعرض الذي كان آنذاك خارج البلاد بالفساد ونهب المال العام والعبث بأرواق الليبيين. وفي 24 مارس الجاري أعلن عن اغتيال الورفلي بوابل من الرصاص على أيدي مسلحين في منطقة بلعون بالقرب من مجمع الكليات الطبية في بنغازي، وتم إلقاء القبض على 3 أشخاص مشدبه بهم في تدير وتنفذ الاغتيال.

وربما لم يحدث خلال السنوات العشر الماضية أن عُرفت شخصية عسكرية وتشابكت حولها الآراء بين مؤيد ومعارض ومحب وكاره مثلما هو حال شخصية الورفلي. فهل سيكون اغتياله بداية لمرحلة جديدة تطوي صفحة سنوات الحرب برموزها وصراعاتها وأسراها؟

أعلن الورفلي عن قراره تسليم نفسه لقادة الجيش، فيما كان مناصروه يتظاهرون في بنغازي ضد مذكرات اعتقاله والمواقف الدولية المنددة بما تراها جرائم ضد الإنسانية، وما يراها داعموه أعمالا مشروعة في معركة التصدي للإرهاب.

بعدها بفترة وجيزة أعلن عن فرار الورفلي من السجن، وهو ما جعل القائد العام للجيش المشير خليفة يصدر أمرا بالقبض عليه كرد فعل على هروبه من السجن العسكري بعد إيقافه للتحقيق معه في عدد من الأعمال التي تعد مخالفة للقانون العسكري وتهدد أمن المواطنين.

عندها أعلنت فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة ترحيبها بإعلان الجيش الوطني الليبي أنه سيحقق في تقارير عن عمليات قتل غير مشروعة في بنغازي، وقالت الدول الثلاث في بيان "لاحظنا بأن الجيش الوطني الليبي أقر بامر التوقيف الذي أصدره المدعي العام للمحكمة الجنائية الدولية لعضو في الجيش الوطني الليبي الرائد الورفلي، وكذلك نشدد على قرار الجيش الوطني الليبي بتعليق عمل الرائد الورفلي في انتظار التحقيق. وندعو الجيش الوطني الليبي إلى ضمان إجراء التحقيق بشكل كامل ومنصف وكذلك محاسبة المسؤولين عن عمليات القتل غير المشروعة".

قضى الورفلي ستة أشهر في السجن، ويقول البعض إنه لم يكن وراء الضبان، وإنما تم استبعاده عن الأنظار إلى أن نطق القضاء.

التواصل الاجتماعي. وأضافت أنه تم تصوير الورفلي وهو ينفذ عملية إعدام جماعي لعشرة معتقلين عزل في بنغازي، حيث أطلق رصاصا على رأس كل شخص، ثم أطلق النار عشوائيا عليهم. كما أمر الورفلي بإعدام ممنهج 20L محتجزا كانوا راكعين على ركعهم وغير مسلحين. وفي العديد من تلك الحوادث كان الورفلي يطلق النار على المحتجزين بعد إعدامهم.

عادت محكمة الجنائيات الدولية وأصدرت مذكرة ثانية بالقبض على الورفلي، وقالت المحكمة حينها إن لديها أسبابا تدفعها للاعتقاد أن الورفلي قام بنفسه "بقتل عشرة معتقلين بالرصاص خارج مسجد بيعة الرضوان في بنغازي في ليبيا"، مضيفة أنها ثامن واقعة من نوعها يتهم فيها بالقتل جريمة حرب. وقالت المدعية العامة فاتو بنسودا إن المحكمة طلبت "مساعدة أي دولة يمكنها أن تكون قادرة على ضمان القبض على الورفلي، وتقديمه من أجل المثول للمحاكمة أمام المحكمة الجنائية الدولية".

كما طالبت بعثة الأمم المتحدة في ليبيا بتسليم الورفلي على الفور إلى محكمة الجنائيات الدولية، مشيرة إلى أنها رصدت على الأقل 5 حالات إعدام بإجراءات موجزة ارتكبها أو أمر بها في بنغازي، وادرجت الشرطة الجنائية الدولية "الإنتربول" الورفلي على قائمة المطلوبين متهمته إياه بتنفيذ إعدامات خارج نطاق القضاء.



● المحكمة الجنائية الدولية أصدرت مذكرة اعتقال بحق الورفلي، متهمته إياه بتنفيذ إعدامات ميدانية لمدنيين ومقاتلين مصابين.



● عملية الكرامة التي قادها المشير حفتر، تفجرت بعد تصاعد الصراع مع المتطرفين، وكانت قوات الصاعقة النواة الأولى التي تشكل منها الجيش الوطني، أما الورفلي فكان أحد أبرز رموزها. (الصورة من فيسبوك).